

خطب شهر ربيع ثان

السيرة النبوية (الجزء الثالث)

أسبقية نور المصطفى ﷺ

التبرك (الجزء الأول)

التبرك (الجزء الثاني)

السيرة النبوية

الجزء الثالث

الحمد لله الذى أنار الوجود بطلعة خير البرية، فانطفأت لنوره نيران فارس وتصدعت له قصور كسرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحيبنا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الغر الميامين ورضى الله تبارك وتعالى عن سائر الصحابة أجمعين والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فى أحباب رسول الله ﷺ

لقد انتهينا فى الجمعة السابقة عند دخول سيدنا رسول الله ﷺ إلى المدينة وبعد هذا الاستقبال الحافل به ﷺ أتت عدة أمور منها بناء المسجد النبوى الشريف وملحق به داره الشريفة وأنه قد آخى بين المهاجرين والأنصار، وبدأت قوة المسلمين تظهر وتتألأ مما آثار حفيظة اليهود واشتد حسدهم، حتى أنهم سحروه فى مشط ومشاطة من شعر رأسه الشريف وهبط الأمين جبريل بالمعوذتان لفك السحر وكان تحت صخرة فى بئر ذروان، وقد يسأل السائل أيسحر النبى ﷺ؟ والجواب أن هذا حدث من باب التشريع ليس إلا.

أما فى السنة الهجرية الأولى:

فقد شرع صلوات ربي وسلامه عليه الأذان للمسلمين، فقد جاء رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد بن عبد ربه إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت إني لم أكن نائما لصدقت، إني بينا -أى بينما- أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة فقال: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله -مثنى- حتى فرغ من الأذان ثم أمهل ساعة ثم قال مثل الذى قال غير أنه يزيد فى ذلك (قد قامت الصلاة) مرتين قال رسول الله ﷺ علمها بلالا فليؤذن بها، فكان بلال أول من أذن بها.

وجاء سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ فقال يا رسول الله قد طاف بى مثل الذى طاف به غير أنه سبقنى.

وهناك من يدعى بأن الترنيمة فى الأذان بدعة، فإذا كان الأذان عبارة عن ألفاظ فقط لكان الأولى بالأذان الذى رأى الأذان فى المنام وهو عبد الله بن زيد، ولكن الحبيب المصطفى قال له ﴿ألقه على بلال فإنه أندى منك صوتا﴾¹ فعذوبة الصوت لها مكانة، وعن الترغيب فى عذوبة الصوت قال رسول الله ﷺ ﴿زينوا القرآن

¹ شرح صحيح البخارى لابن بطال والسنن الكبرى للبيهقى

بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً^٢ وقال أيضا صلوات ربي وسلامه عليه ﴿لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن﴾^٣ وعن عذوية صوت سيدنا داود فإن الله يقيمه عند ساق العرش فيقول الحق سبحانه: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم.^٤

وأما مسألة الآذان الثاني يوم الجمعة، فالآذان الأول هو المسنون المتوارث عن سيدنا رسول الله ﷺ واستمر زمن سيدنا أبي بكر ﷺ وزمن سيدنا عمر ﷺ، فلما كثر عدد المسلمين في عهد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ أمرهم بآذان آخر واستمر الحال إلى زماننا هذا، ومن يقل أن الآذان الثاني بدعة فهو خارج على صريح السنة المطهرة، لأن رسول الله ﷺ قال ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي﴾^٥ فالآذان الثاني سنة عن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ وقد أقره صلوات ربي وسلامه عليه بهذا الحديث.

ويدخل تحت هذا الحكم أيضا الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ بعد الآذان لقوله صلوات ربي وسلامه عليه ﴿إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا على فإنه من صلى على صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة﴾^٦ والأمر بالصلاة من النبي إيلنا يشمل المؤذن والسامع لقوله ﷺ ﴿وصلوا علي﴾ ولأن الصلاة على النبي ليست مقرونة بزمن معين، فكيف لنا أن نحرم ونحلل، وإن شاء الله سيكون لنا لقاء في خطبة منفصلة عن البدعة والمعنى الحقيقي للبدعة.

وفي السنة الثانية من الهجرة:

حدثت أحداث كثيرة منها أنه قد أذن للنبي ﷺ بالقتال لمن قاتله، فكان صلوات ربي وسلامه عليه يدعو إلى الإسلام بدون قتال، ثم أذن بالقتال لمن قاتله في قوله تعالى ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^٧ نزلت في شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة وكانت أول آية تنزل في القتال.

وحدث أيضا في هذه السنة وبالتحديد في النصف من شعبان حدثا هاما ألا وهو تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام وعلى أرجح الأقوال كانت أثناء صلاة الظهر فوقع نصف الصلاة تجاه المسجد الأقصى والنصف الآخر تجاه بيت الله الحرام.

وحدث أيضا فيها الحدث التاريخي للمسلمين وبالتحديد، يوم الجمعة السابع عشر من رمضان، فقد وقعت غزوة بدر الكبرى وكانت الغلبة لجيش الحق جيش سيدنا رسول الله ﷺ وقد بشر الحبيب صحابته الكرام بالنصر قبل

^٢ مسند أحمد وصحيح ابن حبان وسنن النسائي والحاكم في المستدرک وجمع الجوامع للسيوطي وسنن الدارمي وكنز العمال

^٣ جمع الجوامع للسيوطي وكنز العمال ومسند البزار

^٤ مسند أبي عوانة والدر المنثور وتفسير ابن كثير

^٥ شرح صحيح البخاري لابن بطلال وشرح سنن أبي داود وابن ماجه وكشف الخفا والأحكام لابن حزم

^٦ صحيح مسلم والسنن الكبرى للنسائي وسنن أبي داود والترمذي

^٧ الحج ٣٩

بدء المعركة حين قال ﷺ ﴿أبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم﴾^٨ ومعنى أنظر إلى مصارع القوم أن النبي ﷺ قد رأى المعركة قبل أن تبدأ، وكان قد رأى الملائكة معممين بعمائم سود.

وفي هذه السنة أيضا فرض الله سبحانه الركن الثالث في الإسلام ألا وهو (صيام شهر رمضان) على الأمة المحمدية بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^٩.

كم فرض أيضا الركن الرابع في الإسلام ألا وهو (الزكاة) كما شرعت الأضحية وصلاة العيد. أما السنة الثالثة الهجرية:

فقد كانت غزوة أحد التي كان فيها أكبر درس للمسلمين وهو الطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ، وكانت الطاعة لرسول الله ﷺ عند الله أهم من نصره الدين، وذلك حينما أمر الرسول الرماة بعدم تركهم الجبل مهما حدث، ولكنهم تركوه وخالفوا أمر الحبيب وحينها انقض خالد بن الوليد - ولم يكن أسلم حينها - على جيش المسلمين وانتهت المعركة بغلبة جيش المشركين بعدما كان المسلمين قاب قوسين أو أدنى من النصر، وفي هذه السنة أيضا قتل رسول الله ﷺ أبي بن خلف، ونزل تحريم الخمر.

وفي السنة الخامسة الهجرية:

فقد فرض الله سبحانه الركن الخامس من الإسلام ألا وهو (الحج) كما شرع الحبيب التيمم، وكان من قصة الإفك ما كان، أما من ناحية الغزوات فكانت غزوات بني المصطلق والخندق وبني قريظة. وفي السنة السابعة من الهجرة:

كانت غزوة خيبر واتخذ ﷺ الخاتم وأرسل الرسل إلى الملوك والأمراء، واعتمر صلوات ربي وسلامه عليه عمرة القضاء.

وفي السنة الثامنة من الهجرة:

كان الفتح الأكبر فتح مكة، واتخاذ صلوات ربي وسلامه عليه المنبر الخشبي وكان يخطب قبله على جذع نخلة أو ساندا ظهره عليه، ولما ترك الجذع أنّ الجذع أنين سمعه كل من في المسجد حتى ارتج المسجد وبكى الناس، فنزل صلوات ربي وسلامه عليه فاحتضنه فجعل يئن أنين الصبي، وأخذ الحبيب يربت على الجذع حتى سكت بعد أن بشره الحبيب بأنه سيحشر معه.

وفي السنة التاسعة من الهجرة:

^٨ السنن الكبرى للنسائي ومسند البزار والمعجم الكبير للبيهقي

^٩ البقرة ١٨٣

قدمت وفود العرب إليه ﷺ حتى سُميت هذه السنة بسنة (الوفود) وتوفى فيها النجاشي وحزن عليه رسول الله ﷺ لدرجة أنه هجر نساءه.

يقول المصطفى ﷺ ﴿حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض أعمالكم علي فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت الله لكم﴾^{١٠}.

أو كما قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له .. ادعوا الله

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمدا عبده ورسوله، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعي التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

في السنة العاشرة من الهجرة:

كانت حجة الوداع ونزل قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^{١١}.

وفي السنة الحادية عشر من الهجرة:

مرض فيها الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه مرض الموت، وانتقاله صلوات ربي وسلامه عليه وكان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، أى أننا انتهينا من زمان كما ابتدأنا. وسيكون لنا لقاء آخر نتكلم فيه بالتفصيل عن حجة الوداع وما حدث فيها وعن انتقاله صلوات ربي وسلامه عليه بالتفصيل إذا كان في العمر بقية.

اللهم متعنا بمشاهدة وجهك الكريم يارب العالمين، والصحة برسولك العظيم، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبيكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

^{١٠} كنز العمال ومسند البزار وجمع الجوامع وزوائد الهيثمي

^{١١} المائدة ٣

أسبقية نور المصطفى ﷺ

الحمد لله الذى فتح لأولياته طرق الوسائل وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل، فمن اقتدى بهم اهتدى ومن ضل طريقهم شقى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الغر الميامين ورضى الله تبارك وتعالى عن سائر الصحابة أجمعين والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فى أحباب رسول الله ﷺ

لقد انتهينا من الحديث عن مولد النبى صلوات ربي وسلامه عليه من خلال السيرة النبوية الشريفة على مدار الشهر الماضى واليوم نتحدث عن ميلاده الأول وهو ميلاد النور، والله در القائل:

أرى من كريم المولدين إشارة وإن إشارات الحبيب بشائر

لا تندهبوا، فكلنا نسمع المؤذن فى صلاة الفجر والخطباء على المنابر وهم يقولون: يا أول خلق الله وخاتم رسل الله، فكيف هو الأول والخاتم؟ فمن حيث مولد نورانيته فهو أول خلق الله على الإطلاق، ومن حيث مولد الجسدية الشريفة الطاهرة فهو خاتم رسل الله.

فتعالوا بنا اليوم نتكلم عن مولد نورانيته صلوات ربي وسلامه عليه، فلقد سأل صحابى جليل سيدنا رسول الله ﷺ ألا وهو سيدنا جابر بن عبد الله الأنصارى قال، قلت يا رسول الله: بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ فقال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك وسماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس.

فلما أراد الله أن يخلق الخلق قَسَمَ ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم ومن الجزء الثانى اللوح ومن الجزء الثالث العرش.

ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثانى الكرسي ومن الثالث باقى الملائكة.

ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول السموات ومن الثانى الأراضين ومن الثالث الجنة والنار.

ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور ألسنتهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثم نظر إليه -أى إلى الجزء الرابع- فترشح النور عرقا فتقطرت منه مائة ألف قطرة وعشرين ألفا وأربعة آلاف قطرة، فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول.

ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم أرواح الأنبياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة.

فالعرش والكرسى من نورى، والكروبيون من نورى، والروحانيون من نورى، والجنة وما فيها من نعيم من نورى، والشمس والكواكب من نورى، والعقل والعلم والتوفيق من نورى، وأرواح الأنبياء والرسل من نورى، والسعداء والصالحون من نتائج نورى.

ثم خلق آدم من الأرض وركب فيه النور وهو الجزء الرابع، ثم انتقل منه إلى شيث وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى وجه أمى آمنة.

ثم أخرجنى إلى الدنيا فجعلنى سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين، هكذا بدء خلق نبيك يا جابر.

وبعد هذا كله يتناول البعض على حضرة النبى صلوات ربي وسلامه عليه، محاولين بسوء أدب انتقاص قدره رغم أن نور أبصارهم من نوره وبيا للعجب، ننظر بنور النبى ونتناول عليه.

ولقد أخبرنا الحق سبحانه عن بدايته فقال سبحانه ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾^{١٢} فهو صلوات ربي وسلامه عليه بنص الآية الكريمة أول من عبد الله سبحانه وتعالى على الإطلاق.

وذات مرة سُئل الحبيب المصطفى ﷺ متى نبئت يا رسول الله؟ فقال ﷺ ﴿كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد﴾^{١٣}.

وتعالوا بنا نتقل بكم إلى موطن آخر عندما هبط سيدنا آدم عليه السلام إلى الأرض، من كان سببا فى توبة سيدنا آدم؟ إنه المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، وذلك فى حديث سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ﴿لما افترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لى، فقال الله تعالى: يا آدم كيف عرفت محمد ولم أخلقه؟ قال: يارب إنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلىّ، وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك وهو آخر الأنبياء من ذريتك﴾^{١٤}.

^{١٢} الزخرف ٨١

^{١٣} رواه أحمد فى مسنده والترمذى فى صحيحه وأبو نعيم فى دلائل النبوة وابن الجوزى فى الوفا

^{١٤} الحاكم فى المستدرک وكنز العمال ودلائل النبوة للبيهقى وابن عساکر فى تاريخه

فأين كان الحبيب صلوات ربي وسلامه حين خلق سيدنا آدم؟! وإذا كان هذا للنبي ﷺ قبل ولادته، فكيف به بعد ولادته ﷺ ﴿كنت نبيا وآدم بين الماء والطين﴾^{١٥}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .. ادعوا الله

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحيينا محمدا عبده ورسوله، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فى أحبب رسول الله ﷺ

ومن معجزاته ﷺ أن أهل بيت من الأنصار كان لهم جمل فاستصعب عليهم ومنعهم ظهره، أى تمرد الجمل على أصحابه، فأتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل فاستصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع، فقال رسول الله ﷺ قوموا، فقاموا، فدخل الحائط والجمل فى ناحية فمشى رسول الله ﷺ نحوه، فقالت الأنصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب، وإنا نخاف عليك صولته، أى أصبح مسعورا، فقال رسول الله ﷺ ليس علىّ منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله فى العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال ﷺ ﴿لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها﴾^{١٦}.

وغير هذا الكثير والكثير لو تحدثنا الدهر كله عن سيدنا رسول الله ﷺ ما وفيناه حقه .. صلوات ربي وسلامه عليك يا سيدى يا حبيب الله.

اللهم أحيينا وأمتنا على حبه وحب من يحبه يا أكرم الأكرمين، اللهم متعنا بمشاهدة وجهك الكريم يارب العالمين، والصحة برسولك العظيم، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبتكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

^{١٥} شرح أبى داود للعيني وتفسير الألوسى والرازى والشعراوى.

^{١٦} مسند أحمد وسنن النسائى الكبرى وصحيح ابن حبان.

التبرك

الجزء الأول

الحمد لله الذى فتح لأولياته طرق الوسائل وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل، فمن اقتدى بهم اهتدى ومن ضل طريقهم شقى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الغر الميامين ورضى الله تبارك وتعالى عن سائر الصحابة أجمعين والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فى أحباب رسول الله ﷺ

يقول الحق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾^{١٧} البركة أيها الأحباب معناها لغويا النماء أو الزيادة أو التيمن بالغير، وينكر أصحاب القلوب المريضة التبرك حتى بالنبي ﷺ وهذا الإنكار إما عن عدم دراية وإمام بالدين أو عن جهل، وإذا كان التبرك واردا أصلا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلماذا التطاول؟ والله در من قال:

تطاولت الأرض على السماء سفاهة وقال الليل للدجى لونك حالك

وستسرد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يدل على جواز التبرك وبأنواعه مثل:

- التبرك بالنبي ﷺ وآثاره فى حياته وبعد انتقاله.
- التبرك بآثار الأنبياء.
- التبرك بالصالحين.
- التبرك بالتقيل والتمسح.

أولا: حديثنا اليوم عن التبرك بالنبي ﷺ وآثاره فى حياته:

فعن التبرك بذاته صلوات ربي وسلامه عليه يروى لنا سيدنا عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه: أن أسيد بن حضير ﷺ رجلا صالحا ضاحكا مليحا، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدث القوم ويضحكهم قطعنه رسول الله ﷺ فى خاصرته، فقال: أوجعتنى يا رسول الله، فقال الحبيب المصطفى ﷺ: اقتص، فقال أسيد: يا رسول الله إن عليك قميصا ولم يكن على قميص، فرفع ﷺ قميصه، فاحتضنه أسيد وأخذ يقبل كشحه وقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما أردت إلا هذا^{١٨}.

^{١٧} هود ٧٣

^{١٨} الحاكم فى المستدرک وسنن أبى داود والسنن الكبرى للبيهقى

وكان ﷺ يحب رجلا من الصحابة يدعى زاهر، فمشى الحبيب المصطفى ذات يوم إلى السوق فوجد زاهر قائما فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره، فأحس زاهر بأنه رسول الله ﷺ، فأخذ زاهر يمسح ظهره في صدر الحبيب رجاء بركته.

وفي رواية الترمذى أن رسول الله ﷺ احتضن زاهر من خلفه، فقال زاهر: اتركنى من هذا؟ ولما التفت وعرف أنه النبي ﷺ جعل يلصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه فقال ﷺ: من يشتري العبد؟ فقال زاهر: يا رسول الله ستجدني كاسدا، فقال ﷺ: أنت عند الله غال.^{١٩}

وما أورده ابن كثير في كتابه البداية والنهاية أن رسول الله ﷺ كان يعدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به صفوف القوم، فمر بسواد بن غزية ﷺ حليف عدى بن النجار وهو مستنصل عن الصف، فطعنه في بطنه بالقدح وقال: استو يا سواد، فقال سواد: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني، فكشف رسول الله ﷺ عن بدنه وقال: استقد، فاعتنق سواد رسول الله ﷺ وقبل بطنه، فقال الحبيب: ما حملك على هذا يا سواد؟ فقال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله ﷺ بخير).^{٢٠}

وانظروا معى إلى سيدنا خالد بن الوليد عندما فقد قلنسوته يوم اليرموك فأمر جنده بالبحث عنها، فلم يجدوها، فأمرهم مرة أخرى بالبحث عنها، فلما وجدوها فإذا هي قديمة، فاندش القوم من فعل سيدنا خالد، فلما رأى منهم الدهشة قال: اعتمر سيدنا رسول الله ﷺ ثم حلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسة فلم أشهد قتالا وهي معى إلا رزقت النصر، وفي رواية أخرى فما وجهت في جهة إلا فتح لى.^{٢١}

وما رواه الإمام البخارى من وصف عروة لصحابة الحبيب المصطفى ﷺ: أن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه، قال (فو الله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أى قوم!! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى، والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا

^{١٩} أنظر مسند أحمد ومسند أبو يعلى ومسند البزار وسنن البيهقي

^{٢٠} انظر السيرة الحلبية وكشف الخفا للعجلونى وسبل الهدى والرشاد

^{٢١} انظر البداية والنهاية لابن كثير والاصابة في تمييز الصحابة.

أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له).^{٢٢}

وعن قيس بن طلق عن أبيه قال خرجنا ستة، وفد إلى رسول الله ﷺ خمسة من بنى حنيفة والسادس رجل من ضبيعة بن ربيعة، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا، واستوهبنا من فضل طهوره، فدعا بماء فتوضأ منه وتمضمض، ثم صبه لنا في إداوة ثم قال ﴿أذهبوا بهذا الماء فإذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعتكم ثم انضحوا مكانها من هذا الماء واتخذوا مكانها مسجداً، فقلنا: يا رسول الله البلد بعيد والماء ينشف، قال: فأمدوه من الماء فإنه لا يزيد إلا طيباً، فخرجنا فتشاحنا على حمل الإداوة أينما يحملها، فجعلها رسول الله لكل رجل منا يوماً وليلة، فخرجنا بها حتى قدمنا بلدنا فعملنا الذي أمرنا﴾.^{٢٣}

فما السر في حمل هؤلاء القوم ماء وضوئه ﷺ عدة بلدان لينضحوه مكان البيعة؟ أليس هذا تبركاً صريحاً.

ويقول الحبيب المحبوب صلوات ربي وسلامه عليه ﴿التائب حبيب الرحمن﴾ .. ادعوا الله

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

فقد روى الإمام أحمد وغيره عن أنس بن مالك ﷺ: أن النبى ﷺ دخل على أم سليم وفى البيت قرية معلقة فشرب من فيها^{٢٤} وهو قائم، قال أنس: فقطعت أم سليم فم القرية فهو عندنا.^{٢٥}

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: لما كان يوم أحد شج النبى ﷺ فى جبهته فأناه مالك بن سنان وهو والد أبى سعيد، فمسح الدم عن وجه النبى ﷺ ثم ازدرده (أى ابتلعه) فقال ﷺ ﴿من سره أن ينظر الى رجل خالط دمي دمه فليتنظر الى مالك بن سنان﴾.^{٢٦}

يا سبحان الله!!! انظروا معى إلى كلمة (من سره) لأنه ليس أى دم، وهذا الحديث يُعَلِّم كل من تسول له نفسه المقارنة بالحبيب صلوات ربي وسلامه عليه، وأنى لنا المقارنة.

^{٢٢} انظر صحيح البخارى والسنن الكبرى للبيهقى

^{٢٣} انظر صحيح ابن حبان وسنن النسائى

^{٢٤} أى فم القرية

^{٢٥} انظر مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه

^{٢٦} الحاكم فى المستدرک والبيهقى فى المعجم الكبير وكنز العمال

وغير ذلك من الأحاديث التي لا تحصى ولا تعد من التبرك بموضع صلاته وما مسته يده الشريفة صلوات ربي وسلامه عليه، وإن شاء الله سيكون لنا حديثا منفصلا عن التبرك بآثار الحبيب بعد انتقاله .. والتبرك بسائر الأنبياء والصالحين .. والتبرك بالتقبيل وبالتمسح الذي ينكره عامة الناس سواء عن جهل أو علم.

اللهم لا تحرمنا من بركته ﷺ يارب العالمين، اللهم متعنا بمشاهدة وجهه الكريم يارب العالمين، والصحة معه يا أكرم الأكرمين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين.

عباد الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبيكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

التبرك

الجزء الثانى

الحمد لله الذى فتح لأولياته طرق الوسائل وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل، فمن اقتدى بهم اهتدى ومن ضل طريقهم شقى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الغر الميامين ورضى الله تبارك وتعالى عن سائر الصحابة أجمعين والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فى أحباب رسول الله ﷺ

لقد انتهينا فى الحديث السابق بشئ يسير حول التبرك بالحبیب المصطفى ﷺ فى حياته، واليوم نستكمل مسيرتنا عن التبرك، واليوم نتحدث عن التبرك بآثاره صلوات ربي وسلامه عليه: ففىما أخرجہ النسائى عن أبى مجلز أن أبى موسى كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين ثم قام فصلى ركعة أوتر بها فقراً فيها بمائة آية من النساء ثم قال: ما ألوت أن أضع قدمى حيث وضع رسول الله ﷺ قدميه وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله ﷺ. ٢٧

وفىما رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة أن أبى بردة قدم المدينة فلقبه سيدنا عبد الله بن سلام فقال له: انطلق معى إلى المنزل فأسقيك فى قدح شرب فيه رسول الله ﷺ وتصلى فى مسجد صلى فيه النبى ﷺ فانطلقت معه فسقانى سويقاً وأطعمنى تمراً وصليت فى مسجده. ٢٨

وعندما حضرت الوفاة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال لابنه عبد الله: انطلق إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقل لها: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تغل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه.

وعندما استأذن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، ثم دخل عليها وجدها تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى ولأثرته اليوم على نفسى.

وعندما أقبل قيل: هذا عبد الله قد جاء، فقال سيدنا عمر ﷺ ارفعونى، فأسنده رجل إليه، فقال سيدنا عمر: ما لديك؟ فلم يصبر سيدنا عمر، يريد أن يعرف جواب السيدة عائشة رضى الله عنها، هل وافقت على دفنه بجوار حبيبه أم لا؟ فرد سيدنا عبد الله قائلاً: الذى تحب يا أمير المؤمنين، لقد أذنت، فقال: الحمد لله ما كان شئ

٢٧ سنن النسائى وسنن البيهقى

٢٨ صحيح البخارى وسنن البيهقى الكبرى

أهم إليّ من ذلك، فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل: يستأذن عمر، فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين.^{٢٩}

يعنى سيدنا عمر استأذن السيدة عائشة قبل أن يموت ويوصيهم مرة ثانية أن يستأذنها بعد وفاته، إنه أدب الصحابة رضوان الله عليهم الذين تربوا في مدرسة سيدنا رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه، فما السر أيها الأحباب في إصرار أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من هو، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ما السر في هذا الإصرار الشديد في أن يدفن بجوار حبيبه سوى التبرك به رضي الله عنه حتى بعد انتقاله.

وها هو سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده على مقعد منبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يضعها على وجهه، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحسوا رمانة المنبر بميامينهم ثم يستقبلون القبلة ويدعون، وقد روى ذلك ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم عن الإمام أحمد بأنه رخص في التمسح بالمنبر والرمانة وقال أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك.

وكما تروى لنا السيرة أنه كان عند السيدة عائشة رضي الله عنها جبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تخرجها للمرضى للاستشفاء بها، ولما انتقلت السيدة عائشة احتفظت بها السيدة أسماء رضي الله عنها لحاجة المرضى.

ومن الدلائل القوية للحث على طلب التبرك فيما أخرجه البخاري في كتاب العلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه شكأ إلى النبي صلى الله عليه وسلم النسيان لما يسمعه من حديثه الشريف وهو يريد أن يزول عنه ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إني أسمع منك حديثا كثيرا فأنساه فأحب أن لا أنسى، فقال صلى الله عليه وسلم: ابسط رداءك، فبسطه، فغرف بيديه ثم قال ضممه، فضممه، قال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه فما نسيت شيئا بعده.^{٣٠}

أخبروني أيها الأحباب .. بالله عليكم ما هو الشيء الذي اغترفه النبي صلى الله عليه وسلم بيديه الشريفة؟ وماذا وضع في الرداء؟ غير البركة من يديه الشريفة صلوات ربي وسلامه عليه.

هذا الذي أوردناه عن التبرك بالحبيب المصطفى وآثاره من الكتاب والسنة ليس إلا بعضا من كل وعلى سبيل المثال لا الحصر، ويبقى لنا الحديث عن التبرك بالأنبياء وعن التبرك بالصالحين من أمة الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه.

أولا حول التبرك بآثار الأنبياء، يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾

٣١

^{٢٩} صحيح البخاري وصحيح ابن حبان وسنن البيهقي الكبرى

^{٣٠} صحيح البخاري وسنن الترمذي

^{٣١} البقرة ٢٤٨

قال الحافظ ابن كثير فى التاريخ: أخبر ابن جرير عن هذا التابوت: أنهم كانوا إذا قاتلوا أحدا من الأعداء يكون معهم (تابوت الميثاق) الذى كان فى قبة الزمان، فكانوا يُنصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فما هى البقية التى تركها آل موسى وآل هارون؟ أتدرون أيها الأحاب ما هى البقية؟ إنها عصا وثيراب ونعلا سيدنا موسى وسيدنا هارون ولوحين من التوراة، فانظروا أيها الأحبة بما يُنصرون على الأعداء.

وانظروا إلى سيدنا يوسف عليه السلام عندما أخبرنا الحق فى كتابه العزيز على لسان سيدنا يوسف عليه السلام ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾^{٣٢} فما السر الذى كان فى هذا القميص حتى أن سيدنا يوسف واثق تمام الثقة من الشفاء، هل كان دواء؟ هل كان سحر؟ حاشى لله إنها آثار بركة سيدنا يوسف عليه السلام فى قميصه.

ولقد ذكر عبد الرزاق عن مكحول أن سعد بن أبى وقاص قال يا رسول الله أرأيت رجلا يكون حامية القوم ويدفع عن أصحابه ليكون نصيبه كنصيب غيره؟ وكان يقصد بذلك الصالحين عندما قسم سيدنا رسول الله ﷺ غنائم إحدى الغزوات وأعطاهم مثل المجاهدين .. فانظرا كيف كان رد الحبيب المصطفى ﷺ .. فقال النبى ﷺ ﴿ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ يَا ابْنَ أُمِّ سَعْدٍ وَهَلْ تَنْصُرُونَ وَتَرْزُقُونَ إِلَّا بَضْعَانِكُمْ﴾^{٣٣}.

أو كما قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له .. ادعوا الله

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمدا عبده ورسوله، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فى أحاب رسول الله ﷺ

كون الإنسان يتبرك بقميص سيدنا يوسف أو عصا أو ثياب أو نعل سيدنا موسى وسيدنا هارون فهذا شئ عادى، لكن العجيب أن يتبرك الإنسان بآثار الحيوانات، لا تندهبشوا!! فالحبيب المصطفى ﷺ يأمر أصحابه بالتبرك بآثار حيوانات الأنبياء، فقد ورد عن سيدنا نافع أن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أخبره أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر (أرض ثمود) فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا للإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة.^{٣٤}

^{٣٢} يوسف ٩٣

^{٣٣} شرح صحيح البخارى لابن بطل باب من استعان بالضعفاء والصالحين فى الحرب

^{٣٤} انظر صحيح مسلم وابن حبان

فلماذا الأمر بالسقاية من البئر التي كانت تردها الناقة أليس هذا تبركا، وبمن؟ بآثار الناقة، وانظروا حينما أمرهم ﷺ أن يتركوا ما استقوا من آبار أرض ثمود ويعلفوا لإبلهم العجين الذي عجنوه من هذه الآبار ثم يستقوا من البئر التي كانت تردها ناقة سيدنا صالح عليه السلام.

أى أنه ﷺ يعلمنا بأن نتبرك حتى بآثار الحيوانات التي تتبع الأنبياء وينهانا عن التبرك بمن كفر بالأنبياء حتى لو كانوا آدميين.

أيها الأحباب .. يجب أن نقف مع أنفسنا حتى لا نتعرض لسيف الشريعة وغضب الحق سبحانه على من يؤذى حبيبه لقوله صلوات ربي وسلامه عليه ﴿من آذاني فقد آذى الله﴾^{٣٥}.

ثم يبقى لنا في هذه المسيرة العطرة عن التبرك، التبرك بأولياء الله الصالحين من أمة الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، ونظرا لضيق الوقت سيكون لنا لقاء آخر لاستكمال بقية الحديث عن التبرك بهم وعن التبرك بالتقبيل وبالتمسح، الذي ينكره البعض ويقره البعض، وهل حلال أم حرام، إذا كان في العمر بقية يكون لقاءنا القادم إن شاء الله.

اللهم لا تحرمنا من بركته ﷺ يارب العالمين، اللهم متعنا بمشاهدة وجهه الكريم يارب العالمين، والصحة معه يا أكرم الأكرمين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبتكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

^{٣٥} شعب الإيمان للبيهقي والشفاء للقاضي عياض